
سلسلة
قصص في الأخلاق
١٠
قصص في الحياء
منصور علي عرابي
دار الغوثاني
منتدى اقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com



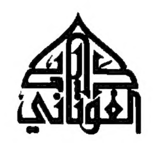
سلسلة قصص الأخلاق

١٠

قصص في

الحَياء

إعداد
منصور علي عرابي



الموضوع : الآداب (القصص)
العنوان : قصص في الحياء
إعداد : منصور علي عرابي
عدد الصفحات : ١٦
قياس الصفحات : ١٤×٢٠
رقم التسلسل : ٥٩



سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧
فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣+ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣+
algwthani@scs-net.org

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

حَيَـاءُ الجَـائِع

كَانَ أبُو هُرَيرَةَ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ ـ فَقِيرًا، وذَاتَ يومٍ اشْتَدَّ عَلَيه الْجُوعُ، فَخَرَجَ إلَى الطَّرِيقِ يبْحَثُ عَنْ طَعَامٍ، فَمرَّ عَلَيه أبُو بكْرٍ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ ـ فاستَحْيا أبُو هُرَيرَةَ أنْ يخْبِرَهُ بِجُوعِهِ الشَّدِيدِ، فَسأَلَهُ عَن آيةٍ مِنْ كِتابِ اللَّهِ فَرُبَّمَا يستَضِيفُهُ، فَأجَابَهُ أبُو بكْرٍ عَنْ مَسْألَتِهِ وانْصَرَفَ.

ثُمَّ مَرَّ عَليهِ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ ـ فَسأَلَهُ عَنِ الآيةِ رُبَّمَا يستَضِيفُهُ، فَأجَابَهُ عُمَرُ عَنِ الآيةِ وانْصَرَفَ أيضاً.

ثُمَّ مَرَّ عَلَيهِ النَّبِيُّ ﷺ فَعرَفَ مَا فِي نَفْسِهِ فأَخَذَهُ إلَى الْبيتِ، فَوَجَدَ فِيهِ قَدَحـاً مِنْ لَبَنٍ، فَأمرَهُ ﷺ أنْ يُحْضِرَ بَاقِيَ أهْـلِ الصُّـفَّةِ مِنْ فُقَرَاءِ المسْلمِينَ الذينَ يَسكُنُونَ المَسْجِدَ، فَحزِنَ أبُو هُرَيرَةَ خَشْيَةَ أنْ لا يتَبَقَّى لَهُ شَيءٌ إذَا جَاءَ أهْلُ الصُّفَّةِ، ولَكنَّهُ استَحْيا أنْ يُخبِرَ الرَّسُولَ ﷺ بذَلكَ، فَذَهَبَ إليهِمْ، وجَاءَ بِهِمْ، فَأمَرَهُ ﷺ أن يعْطِيَهُمُ اللَّبَنَ؛ فَشَرِبَ أهْلُ الصُّفَّةِ جَمِيعاً.

ثُمَّ أخَذَ أبُو هُرَيرَةَ الْقَدَحَ ولَمْ يتَبَقَّ فِيه إلاَّ الْقَليلُ، فتَبَسَّمَ ﷺ وأمَرَهُ أنْ يَشْرَبَ؛ فَشَرِبَ حتَّى شَبِـعَ تَمامًا.

* * * * *

حَيَاءُ الزَّوْجَةِ

ذَاتَ يومٍ، كَانَتْ أَسماءُ بِنْت أَبِي بكْرٍ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا ـ تَسِيرُ فِي الطَّرِيقِ وَهِي تَحْمِلُ النَّوَى عَلَى رَأسِهَا، فَقَابَلَهَا رَسُولُ اللَّه ﷺ رَاكِباً نَاقَتَهُ وَمعَهُ أَصْحَابهُ. فَلَمَّا رَآهَا أَشْفَقَ عَلَيهَا، فَأَخَذَ يقُولُ لِنَاقَتِهِ: «إِخْ.. إِخْ» لِتَرْكَبَ أَسْمَاءُ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا ـ خَلفَهُ.

فاسْتَحْيَتْ أَسْمَاءُ أنْ تَسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ. وَتَذَكَّرَتْ غَيْرَةَ زَوجِهَا الزُّبَيرِ بْنِ العَوَّامِ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ ـ فَرَفَضَتْ أنْ تَرْكَبَ، وكَانَ الزُّبَيرُ ـ مَعْرُوفًا بِغَيْرَتِهِ الشَّدِيدَةِ، فَعَرَفَ الرَّسُولُ ﷺ أنَّهَا قَدِ اسْتَحْيَتْ، فَتَركَهَا وانْصَرَفَ مَعَ أَصْحَابِهِ.

ومَشَتْ أسْمَاءُ والنَّوَى عَلَى رأسِهَا حَتَّى وصَلَتْ إِلَى بَيتِهَا، فَحكَتْ لِزَوْجِهَا مَا حَدَثَ، فَقَالَ الزُّبَيرُ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ ـ شَفَقَةً بِهَا: واللَّهِ لَحَمْلُكِ النَّوَى عَلَى رَأسِكِ أَشَدُّ عَلَيّ مِنْ رُكُوبِكِ مَعَهُ.

* * * * *

حَيَاءٌ يَمْنَعُ الكَذِبَ

ذَهَبَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ومَعَهُ بَعْضُ القُرَشِيِّينَ إِلَى الشَّامِ لِلتِّجَارَةِ، فأَرْسَلَ إِلَيهِم هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ يطْلُبُ حُضُورَهُمْ، فَلَمَّا جاءوا إليهِ، قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الذِي يزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ (يَقْصِدُ مُحَمَّدًا ﷺ)

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَباً.

فَقَالَ هِرَقْلُ: اُدْنُوهُ مِنِّيْ، واجْعَلُوا أَصْحَابَهُ (القُرَشِيِّينَ» خَلْفَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: إِنِّي سَائِلٌ هَذَا الرَّجُلَ (يقْصِدُ أَبَا سُفْيانَ)، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ.

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ فِي نَفْسِهِ: فَوَاللَّهِ لَولاَ الحَيَاءُ أَنْ يأثِرُوا عَلَيَّ (يعْهَدُوا عَلَيَّ ويَرَوْا مِنِّي) كَذِبًا لَكَذَبْتُ.

فَأَخَذَ هِرَقْلُ يَسْأَلُهُ عَنْ صِفَاتِ النَّبِيِّ ﷺ ونَسَبِهِ وأَصْحَابِهِ ودَعَوَاتِهِ، فَلاَ يَقُولُ أَبُو سفيانَ إِلاَّ الصِّدْقَ، وقَدْ مَنَعَهُ الحَيَاءُ أَنْ يَنْطِقَ بِكَذْبَةٍ وَاحِدَةٍ أَمَامَ النَّاسِ، وهُوَ يومَئِذٍ مَا زَالَ كَافِرًا، وقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيهِ بِالإِسْلامِ بَعْدَ ذَلِكَ.

* * * *

شَجَاعَةٌ وَحَيَاءٌ

فِي غَزْوَةِ الخَنْدَقِ، والْمُسْلِمُونَ مُحَاصَرُونَ فِي الْمَدِينَةِ. رَأى عَمْرُو بْنُ وُدٍّ مكَاناً ضَيِّقاً فِي الخَنْدَقِ يمْكِنُ عُبُورُهُ، فَعَبَرَ مِنْهُ ونَادَى المُسْلِمِينَ كَيْ يَخْرُجَ لَهُ أحَدٌ يُبَارِزُهُ. فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ : يا رَسُولَ اللَّهِ أنَا لَهُ. فأَعْطَاهُ الرَّسُولُ ﷺ سَيْفَهُ وعِمَامَتَهُ، وأَذِنَ لَهُ.

فَخَرَجَ إِلَيهِ عَلِيٌّ، ودَارَتْ بَينَهُمَا مُبَارَزَةٌ شَدِيدَةٌ، فَضَرَبَ عَلِيٌّ رَأسَ عَمْرٍو بِالسَّيفِ، فَسَقَطَ عَمْرٌو قَتِيلاً عَلَى الأَرْضِ، فأخَذَ عَلِيٌّ يُكَبِّرُ، فَلَمَّا سَمِعَ الرَّسُولُ ﷺ تَكْبِيرَ عَلِيٍّ عَلِمَ أَنَّ عَمْراً قُتِلَ، فَفَرِحَ وفَرِحَ المسْلِمُونَ.

وعَادَ عَلِيٌّ إلَى الْمُسْلِمِينَ مُتَهَلِّلاً فَرِحًا، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ : هَلاَّ سَلَبْتَهُ (أيْ: أَخَذْتَ) دِرْعَهُ؟! فَإِنَّهُ لَيسَ فِي العَرَبِ دِرْعٌ خَيرٌ مِنْهَا. فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنِّي حِينَ ضَرَبْتُهُ اسْتَقْبَلَنِي بِسَوْأتِهِ (كُشِفَتْ عَوْرَتُهُ) فاستَحْيَيتُ أَنْ أَسْتَلِبَهُ.

فَقَدْ مَنَعَ الحَيَاءُ عَلِيًّا ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنْ يَأْخُذَ دِرْعَ عَمْرٍو وَسَيْفَهُ؛ حَتَّى لاَ يَنْظُرَ إِلَى عَوْرَتِهِ المَكْشُوفَةِ.

* * * * *

حَيَاءُ الْمَرْأتَيْنِ

حَوْلَ بِئرِ مَاءٍ فِي أرْضِ مَدْيَنَ، وَجَدَ مُوسَى - عَلَيهِ السَّلامُ - النَّاسَ يتزَاحَمُونَ؛ لِيسْقُوا أنْعَامَهُمْ ومَاشِيتَهُمْ، وَوَجَدَ امْرَأتَينِ تَمْنَعَانِ غَنَمَهُمَا مِنَ الذَّهَابِ إلَى الْمَاءِ. فَتَعَجَّبَ مِمَّا رَأَى، وعَلِمَ أنَّ هُنَاكَ سَبَباً قَوِيّاً يَجْعَلُ الْمَرْأتَينِ تَفْعَلانِ ذَلِكَ.

وَسَأَلَ مُوسَى - عَلَيهِ السَّلامُ - الْمَرْأتَينِ عَنِ السَّبَبِ، فَعَرِفَ مِنْهُمَا أَنَّ أبَاهُمَا شَيْخٌ كَبِيرٌ لاَ يَقْوَى عَلَى السَّقْيِ لَهُمَا، وأنَّهُمَا إِنْ يَصْبِرا حتَّى ينْتَهِيَ الرِّجَالُ خَيرٌ لَهُمَا مِن مُزَاحَمَتِهِمْ؛ وأكْرَمُ. فَسقَى لَهُمَا مُوسَى - عَلَيهِ السَّلامُ - ، ثُمَّ ذَهَبَ إلَى شَجرَةٍ قَرِيبَةٍ، وجَلَسَ يسْتَرِيحُ تَحْتَهَا.

وبَينَمَا هُوَ جَالسٌ إذَا بإحْدَى المرْأتَينِ تَأتِي إِلَيهِ وهِي تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ، مِشْيَةَ الفَتَاةِ العَفِيفَةِ، وقَالَتْ لَهُ: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥].

فَذَهَبَ مُوسَى - عَلَيهِ السَّلامُ - إِلَى أبِيهَا، فَوَجَدَهُ شَيخًا حكِيمًا طَيِّباً، فَحكَى لَهُ عَنْ سَبَبِ خُرُوجِهِ مِنْ مِصرَ إِلَى أرْضِ مَدْين، فَطَمْأنَهُ الشَّيخُ وَاستَضَافَهُ وزَوَّجَهُ إحْدَى ابْنَتَيهِ وأشَدَّهُمَا حَيَاءً، تِلْكَ الَّتِي جَاءَتْهُ تَدْعُوهُ إِلَى لِقَاءِ أَبِيهَا.

* * * * *

الشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ

ذَاتَ يومٍ، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يجْلِسُ مَعَ أصْحَابِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: «إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ ورَقُهَا، وإنَّهَا مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟».

وكانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما ـ جَالِسًا، وكَانَ أصْغَرَ الجَالِسِينَ سِنًّا، فَعَرَفَ أنَّهَا النَّخْلَةُ، ولَكِنَّهُ وَجَدَ أبَا بَكْرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ سَاكِتًا، وَوَجَدَ أبَاهُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ سَاكِتًا، فَاسْتَحْيَا أنْ يَتَكَلَّمَ.

وأخَذَ النَّاسُ يذْكُرُونَ أنْوَاعًا مِن أنْوَاعِ الشَّجَرِ، فلَمْ يُوَافِقْهُمُ الرَّسُولُ ﷺ فِيمَا ذَكَرُوْا، فَقَالُوا: مَا هِيَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ».

فَلَمَّا انْتَهَى المَجْلِسُ، وَقَامَ الصَّحَابَةُ، أخْبَرَ عَبْدُ اللَّهِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ، أبَاهُ أنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ أنَّهَا النَّخْلَةُ، فَلَمَّا سأَلَهُ عَنْ سَبَبِ سُكُوتِهِ أَخْبَرَهُ أنَّهُ اسْتَحْيَا أنْ يَتَكَلَّمَ وَهُمْ سَاكِتُونَ، فَعَاتَبَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقَالَ لَهُ: لأَنْ تَكُوْنَ قُلْتَهَا أحَبَّ إلَيَّ مِنْ أنْ يكُوْنَ لِيْ حُمْرُ النَّعَمِ. (وهِيَ نَوعٌ مِنَ الإبِلِ العَظِيمَةِ غالِيَةِ الثَّمَنِ». حَقًّا إنَّهُ لا حَيَاءَ في العِلْمِ.

حَيَاءٌ مِنَ اللّٰهِ

لَمَّا عُرِجَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ، فَرَضَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ عَلَيهِ وعَلَى أُمَّتِهِ خَمْسِينَ صَلاةً فِي اليَوْمِ واللَّيلَةِ. وفِي طَرِيقِ العَودَةِ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مُوسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ فِي السَّمَاءِ السَّادسَةِ، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ : «مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟». قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَرَضَ خَمْسِينَ صَلاةً».

قَالَ مُوسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ : «فَارْجعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيْقُ ذَلِكَ».

فَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى رَبِّهِ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ يَسْأَلُهُ التَّخْفِيفَ، فأَنْقَصَ اللَّهُ مِنْهَا عَشْرًا، فَرجَعَ إِلَى مُوسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ ، فَطَلَبَ مِنْهُ مُوسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ أَنْ يرْجعَ إِلَى رَبِّهِ يَسْأَلُهُ التَّخْفِيفَ، وظَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يتَرَدَّدُ بينَ رَبِّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ومُوسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ فِي سُؤَالِ التَّخْفِيفِ، حتَّى صَارَتِ الصَّلاةُ خَمْسًا فِي اليَوْمِ واللَّيلَةِ. فَقَالَ مُوسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ أيضًا: «رَاجعْ ربَّكَ». فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي». وذَلِكَ مِنْ كَثْرَةِ رُجُوعِهِ إِلَيهِ، خَشْيَةَ أَنْ يكُونَ قَدْ أَلَحَّ فِي طَلَبِ التَّخْفِيفِ.

حَيَاءُ الأنْبِيَاءِ

عِنْدَمَا يُحْشَرُ النَّاسُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يومَ القِيامَةِ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يبْحَثُونَ عَمَّنْ يشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ. فَيذْهَبُونَ إِلَى آدَمَ عليه السلام فَيقُولُونَ لَهُ: اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مكَانِنَا هَذَا وَيقْضِي بَيْنَنَا. فَيتَذَكَّرُ أَنَّهُ أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ وَقَدْ نُهِيَ عَنْ ذَلِكَ، فَيقُولُ لَهُمْ: «لَسْتُ لَهَا».

فَيذْهَبُونَ إِلَى نُوحٍ ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ فَيتَذَكَّرُ دَعْوَتَهُ عَلَى قَومِهِ، وأَنَّهُ سَأَلَ اللَّهَ مَا لَيسَ لهُ بِهِ عِلْمٌ، فَيسْتَحِيْ ويقُولُ لَهُمْ كَمَا قَالَ آدَمُ. فَيذهَبُونَ إلى إبْرَاهِيم ـ عَلَيه السَّلامُ ـ فيسْتَحِيْ مِنَ اللَّهِ ويقُولُ لَهُمْ كما قَالَ آدَمُ، فَيذْهَبُونَ إلَى مُوسَى ـ عَلَيه السَّلامُ ـ فَيسْتَحِيْ مِنْ رَبِّهِ، ويقُولُ لَهُمْ كَمَا قَالَ آدمُ. فَيذْهَبُونَ إِلَى عِيسَى ـ عَلَيه السَّلامُ ـ فَيقُولُ لَهُم كمَا قَالَ آدَمُ.

فَيذْهَبُونَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَيَقُولُ: «أَنَا لَهَا.. أَنَا لَها»، فَيَسْتَأْذِنُ مِنَ اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فِي الشَّفَاعَةِ فَيؤْذَنَ لَهُ، فَيَسْجُدُ النَّبِيُّ ﷺ تَحْتَ العَرْشِ، فَيُقَالُ للنَّبِيِّ ﷺ: «ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ».

فَيَظَلُّ النَّبِيُّ ﷺ يَشْفَعُ للمُؤْمِنِينَ وَيَسْجُدُ؛ حَتَّى لاَ يَبْقَى فِي النَّارِ إِلاَّ مَنْ وَجَبَ عَلَيهِ الخُلُودُ فِيهَا.

صَمْتٌ وَحَيَاءٌ

سَمعَت السَّيِّدَةُ عَائشَةُ ـ رَضي اللَّهُ عَنْهَا ـ الرَّسُولَ ﷺ يقُولُ: «البِكْرُ تُسْتَأذَنُ (أيْ: يَأْخُذُ وَلِيُّ أَمْرِهَا رَأْيهَا عِنْدَ زَوَاجِهَا»، فَأدْرَكَتْ أنَّ هَذَا القَولَ يَحْتَاجُ إلَى تَوضِيحٍ وتَفصِيلٍ؛ فَهِي تَعْلَمُ أنَّ الفَتَاةَ البِكْرَ تَسْتَحِيْ أَنْ تَذْكُرَ مُوافقَتَهَا صَرَاحَةً فِي أَمْرِ زَوَاجِهَا، وعِنْدَمَا يُعْرَضُ عَلَيهَا هَذَا الأَمْرُ فَإنَّهَا تَسْكُتُ ولاَ تُجِيبُ؛ حَيَاءً وخَجَلاً.

فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا ـ للرَّسُولِ ﷺ: إنَّ البِكْرَ تَسْتَحِيْ.

فَقَالَ ﷺ: «رِضَاهَا صَمْتُهَا»، وبِذَلكَ حَفظَ الرَّسُولُ ﷺ لِكُلِّ فَتَاةٍ حَيَاءَهَا، وجَنَّبَهَا مَشَقَّةَ الإفْصَاحِ عَنِ المُوافَقَةِ عَلَى الزَّواجِ صَرَاحَةً.

الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ

ذَاتَ يَوْمٍ، كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَسِيرُ فِي إحْدَى طُرُقَات المَدِينَة، فَوَجَدَ رَجُلاً مِنَ الأنْصَارِ يُعَاتِبُ أخَاهُ، ويَلُومُهُ عَلَى كَثْرَة حَيَائه الشَّدِيد، ويُوصِيهِ أنْ يُقَلِّلَ مِنْ حَيَائهِ، ولاَ يُظْهِرَهُ للنَّاسِ حتَّى لا يَطْمَعُوا فِيه.

فَأرَادَ الرَّسُولُ ﷺ أنْ يُوَضِّحَ للأنْصَارِيِّ أنَّ التَّحَلِّيَ بِالْحَياء لَيسَ عَيْباً، فَالْحَيَاءُ زِينَةٌ لِلمُؤْمِنِ، وفِيهِ الخَيرُ لَهُ، فَقَالَ ﷺ للرَّجُلِ: «دَعْهُ، فَإنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيْمَانِ».

حَيَاءُ الرَّسُولِ ﷺ

عِنْدَمَا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ السَّيِّدَةَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - صَنَعَ طعامًا كثيرًا، ثُم دَعَا النَّاسَ ليأْكُلُوا، فَذَهَبُوا إِلَى وَلِيمَة النَّبِيِّ ﷺ فأَكَلُوا، ثُمَّ خَرَجُوا وبَقِيَ ثَلاثةٌ لَمْ يَخْرُجُوا، وزَيْنَبُ جَالسَةٌ فِي جَانبٍ مِنَ الْبَيْتِ تَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّه ﷺ، فلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَوَجَدَ هَؤُلاء جَالسِيْنَ يَتحَدَّثُونَ اسْتَحْيَا مِنْهُمْ وخَرَجَ.

وبَعْدَ مُدَّةٍ دَخَلَ فَوَجَدَهُمْ كَذَلِكَ، فَاسْتَحْيَا وخَرَجَ، وتَكَرَّرَ ذَلكَ الأَمْرُ مرَّات، فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّه ﷺ إِلَى حُجْرَة السَّيِّدة عَائشَةَ - رَضِي اللَّهُ عَنْهَا - فَجَلَسَ فيهَا، فلَمَّا عَلمَ بِخُرُوجِهِمْ دَخَلَ عَلَى زَينَبَ رَضِي اللَّهُ عَنْها، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - قُرْآنًا يُعَلِّمُ فِيه الْمُسْلمِينَ الأَدَبَ مَعَ الرَّسُولِ بِخاصَّةٍ، وَمَعَ جَمِيعِ النَّاسِ بِعامَّةٍ، إِذَا دُعُوا إِلَى طَعَامٍ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٤].

حَيَاءٌ مِنَ الْمَوْتَى

لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ دُفِنَ فِي الحُجْرَةِ الَّتِي قُبِضَتْ رُوحُهُ فِيهَا؛ إِذِ الأَنْبِياءُ - عَلَيهِمُ السَّلامُ - يدْفَنُونَ حَيثُ تُقْبَضُ أَرْوَاحُهُمْ، فَكَانَت السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ - رَضِي اللَّهُ عَنْهَا - تَدْخُلُ تِلكَ الحُجْرَةِ وهِي مُتَخَفِّفَةٌ مِن الثِّياب.

وعِنْدَمَا تُوُفِّيَ أَبُوهَا الصِّدِّيقُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وَدُفِنَ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ فِي تِلْكَ الحُجْرَةِ، ظَلَّتِ السَّيِّدَةُ عائِشَةُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ تَدْخُلُ مُتَخَفِّفَةً مِنْ ثِيابِها، كَمَا كَانَتْ تَفعَلُ قَبْلَ ذَلِكَ، وتَقُولُ: إنَّمَا هُوَ زَوْجِي، وهُوَ أَبِي.

فَلَمَّا دُفِنَ عُمرُ بْنُ الخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ فِي نَفْسِ الحُجْرَةِ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ وأَبِي بَكْرٍ، تَغَيَّرَ الحَالُ، فَمِنْ ذَلِكَ اليومِ كَانَت السَّيِّدةُ عَائشَةُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ إِذَا دَخَلَتْ تِلْكَ الحُجْرَةَ لاَ تَدْخُلُ إِلا وَهِيَ مُحْتَشِمَةٌ، وعَلَيهَا حِجَابُهَا، حَيَاءً أَنْ يَظْهَرَ شَيءٌ مِنْ زِينَتِهَا أَمَامَ رَجُلٍ لَيسَ مِنْ مَحَارِمِهَا، حَتَّى وإِنْ كَانَ مَيْتًا ومَدْفُونًا فِي قَبْرِهِ، أو كَانَ فِي مِثْلِ مكَانَةِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عِفَّةً وأَمَانَةً وحَيَاءً.

فِتْيَةٌ لا يَسْتَحْيُونَ

خَرَجَ الصَّحَابِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الحَارِثِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وَمَعَهُ أَحَدُ أَصْحَابِهِ يومًا مِنَ البَيتِ. وَبَينَمَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ وَجَدُوا فِتْيَةً مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ خَلَعُوا ثِيابَهُمْ وأَصْبَحُوا عُرَاةً. ولَفَّ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ ثَوبَهُ عَلَى شَكْلِ حَبْلٍ، وأَخَذَ يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ويَضْحَكُونَ ويَمْزَحُونَ. فَلَمَّا رَأَوْا عَبْدَ اللَّهِ وصَاحِبَهُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما ـ لَمْ يهْتَمُّوا بِهِمَا وظَلُّوا عَلَى حَالِهِمْ دُونَ حَيَاءٍ أَوْ خَجَلٍ.

ثُمَّ مَرَّ بِهِمُ الرَّسُولُ ﷺ، فَلَمَّا رَأوهُ تَفَرَّقُوا وأسْرَعَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ لِيخْتَبِئَ حَتَّى لاَ يَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ ودَخَلَ بَيتَهُ وَهُوَ يقُولُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، لاَ مِنَ اللَّهِ اسْتَحْيَوْا وَلاَ مِنْ رَسُولِهِ اسْتَتَرُوْا».

وكَانَتْ أُمُّ أَيْمَنَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ جَالِسَةً تَرَى الغَضَبَ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ لَهُ: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ يا رَسُولَ اللَّهِ. فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ؛ لِقِلَّةِ حَيَائِهِمْ، إلاَّ بَعْدَ إلْحَاحٍ شَدِيدٍ مِنْ أُمِّ أَيمَن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

حَيَاءُ صَحَابِيَّةٍ

رُوِيَ أنَّ الصَّحَابِيَّةَ الجَلِيلَةَ أُمَّ خَلاَّدٍ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا ـ عَلِمَتْ أنَّ ابْنَهَا قُتِلَ فِي المَعْرَكَةِ، فَذَهَبَتْ إلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَسْألُهُ عَنْ حَالِ ابْنِهَا، وكَانَتْ أُمُّ خَلاَّدٍ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا ـ تَضَعُ عَلَى وجْهِهَا نِقَابًا.

فَلَمَّا رَآهَا النَّاسُ تَعَجَّبُوا مِنْ أنَّهَا لَمْ تَكْشِفْ شَعْرَهَا، ولَمْ تَلْطُمْ وَجْهَهَا، ولَمْ تَفْعَلْ كَمَا تَفعَلُ النِّسَاءُ، بَلْ جَاءَتْ مُنْتَقِبَةً مُحتَشِمَةً؛ رَغْمَ الْمُصِيبَةِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي حَدَثَتْ لَهَا، فَقَالَ لَهَا أَحَدُ النَّاسِ: جِئْتِ تَسْألِينَ عَنْ ابْنِكِ وأنْتِ مُنْتَقِبَةٌ؟!

فَقَالَتْ أُمُّ خَلاَّدٍ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا ـ : إنْ أُرْزَأْ ابْنِيْ، فَلَنْ أُرْزَأَ حَيَائِيْ (أي: أنَّنِي إنْ كُنْتُ فَقَدْتُ وَلَدِي فَلَمْ أفْقِدْ حَيَائِي).

حَيَاءُ مُوسَى

كَانَ بَنُو إسْرَائِيلَ إِذَا اغْتَسَلُوا، اغْتَسَلُوا عُرَاةً أمَامَ النَّاسِ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إلَى بَعْضٍ دُونَ حَيَاءٍ أَوْ خَجَلٍ.

وكَانَ الحيَاءُ يَمْنَعُ نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ أَنْ يفعَلَ فِعْلَهُمْ، فَكَانَ يغْتَسِلُ بِمُفْرَدِهِ بَعِيدًا عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، فادَّعَى قَوْمُهُ أَنَّهُ إنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ لِعَيْبٍ فِيهِ.

وأرَادَ اللَّهُ أَنْ يُبَرِّئَ نَبِيَّهُ مِمَّا قَالُوا، فَلَمَّا ذَهَبَ مُوسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ يومًا يغْتَسِلُ، اقْتَرَبَ مِنْ أَحَدِ الأحْجَارِ، ثُمَّ نَزَعَ ثَوبَهُ ووَضَعَهُ عَلى الحَجَرِ، فَلَمَّا انْتَهَى وَذَهَبَ لِيَلْبَسَ ثَوبَهُ، أَخَذَ الحَجَرُ الثَّوبَ وجَرَى، فَأَمْسَكَ مُوسَى عَصَاهُ وانْطَلَقَ يجْرِي خَلْفَ الثَّوبِ وَهُوَ يقُولُ: «ثَوبِي يا حَجَرُ، ثَوبِي يا حَجَرُ» حتَّى وَصَلَ إلَى جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي إسْرَائيلٍ، فَرَأَوْهُ عُرْيانًا، ورأَوْا جَسَدَهُ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، لَيس بِهِ عَيْبٌ، فَقَالُوا: واللَّهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ.

فَأَخَذَ مُوسَى يضْرِبُ الحَجَرَ بِعَصَاهُ، حتَّى عَلَّمَ الضَّرْبُ فِي الحَجَرِ. وعَلِمَ بَنُو إسْرَائِيلَ أَنَّ مُوسَى يغْتَسِلُ وحْدَهُ لأَنَّهُ شَدِيدُ الحيَاءِ.

* * * *

قِصَصٌ فِي الْحَيَاءِ

الْمُسْلِمُ حَيِيٌّ، يُحِبُّ الْحَيَاءَ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الْحَيَاءَ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيْمَانِ؛ كَمَا أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ. والحَيَاءُ خُلُقُ الإسْلامِ، وسُنَّتُهُ البَاقِيةُ، قَال ﷺ: «إِنَّ لِكُلِ دِيْنٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإسْلامِ الْحَيَاءُ».

فَعَلَيْنَا جَمِيعًا أَنْ نَجْعَلَ الحَيَاءَ خُلُقًا لنَا نُداوِمُ عَلَيه، ونَلْتَزِمُ بِهِ، فَالْحَيَاءُ كُلُّهُ خيرٌ، وَلاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ، والإنْسَانُ الحَيِيُّ مَحْبُوبٌ مِنَ اللَّهِ، وَمُقَرَّبٌ إِلَى النَّاسِ.

والمُسْلِمُ حَيِيٌّ مَعَ رَبِّهِ، يَشْكُرُهُ عَلَى نِعَمِهِ، وَيَمْتَلِئُ قَلْبُهُ بِالْخَوفِ والْمَهَابَةِ مِنْهُ، وَيَسْتَحْيِي أَنْ يَراهُ اللَّهُ وَهُوَ عَلَى مَعْصِيَةٍ، أَوْ يَفْعَلُ القَبَائِحَ والرَّذَائِلَ؛ ولِذَلِكَ فَإِنَّهُ لاَ يَقَعُ فِي المَعَاصِي إِلاَّ قَلِيلُ الحَيَاءِ.

وَمَا أَجْمَلَ أَنْ يكُونَ الإنْسانُ حَيِيًّا مَعَ النَّاسِ؛ فَيَغُضَّ بَصَرَهُ، وَلاَ يُخَاطِبَ أَحَدًا بِسُوءٍ، وَلاَ يتكَلَّمَ بِأَلْفَاظٍ قَبِيحةٍ أو فَاحِشَةٍ، وَلاَ يُقَصِّرَ فِي حَقٍّ عَلَيهِ وَلاَ يُنْكِرَ مَعْرُوفًا صُنِعَ إِلَيهِ.

وهَذِهِ الْقِصَصُ الَّتِي قَرأْنَاهَا نَتَعَلَّمُ مِنْهَا الحَيَاءَ، وَنَقْتَدِي بِأَصْحَابِهَا، ونَأْخُذُ مِنْهُمُ العِبْرَةَ والعِظَةَ.

سلسلة قصص في الأخلاق

٨١٠٠٥٦